جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية/ قسم اللّغة والأدب العربي/ وحدة أدب شعبي مغاربي

السنة الثالثة أدب / أ. ريـــلـــي

المحاضرة الخامسة:القصص الشعبي وأنواعه

تمهيد:الحكاية الشعبية من أهم وأبرز فنون الأدب الشعبي التّي انتشرت انتشارا لا نظير له عبر كل أنحاء العالم، فهي ليست وقفا على مجتمع دون آخر، وقد تم تناقلها بين النّاس عن الرواية الشفوية جيلا عن جيل دون أن تنسب إلى راو معين. فقد اختزلت من خلالها المجتمعات الإنسانية تجاربها التي عاشتها من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

1. مفهوم الحكاية الشعبيّة:

أ. لغة:

ورد في معجم لسان العرب«حكي: الحِكَاية : كقولك : حَكَيت فُلانًا ، وحاكيْتُه فَعَلْتُ مِثْل فِعْله أو قُلْت مِثْل قوله سَوَاء لم أُجَاوزه ، وحَكَيْت عنه الحديث حِكَايَةً. ابن سيده:وحكوت عنه حديثا في معنى حكيته. وفي الحديث: ما سَرَّنِي أنِّي حَكَيْت إنسانا وأنَّ لي كذا وكذا، أي فَعَلْت مِثْلَ فِعْلِه. يقال: حَكَاه وحَاكَاه ، وأكثر ما يُستعمَل في القبيح المحَاكَاة، والمحاكاة المُشَابَهَة، تقول : فلانٌ يَحْكِي الشَّمسَ حُسْنا ويُحَاكيها بمعنى. وحَكَيت عنه الكلام حكاية وحَكَوْت لُغَة، حكاها أبو عبيدة. وأحْكَيْت العُقْدة أي شددتها كأحْكأْتُهَا، ورَوَى ثَعْلَبٌ بَيْتَ عَدِيٍّ:

أَجْل أنَّ اللهَ قد فضّلكم فوق منا حْكَى بصُلبٍ وإزار

أي فوق من شدَّ إزَارَه عَلَيْه، قال ويُروَى فوق ما أحْكِي بصُلْبٍ وإزَارُ، أي فوق ما أقول مِنَ الحِكَايَة ابن القُطَّاع أحْكَيْتُها وحَكَيْتُها لُغَة في أحْكَأْتُها وحَكَأْتُها، وما احْتَكَى ذلك في صدري أي ما وقع فيه»[1]

أمّا في مختار الصحاح مادة(ح ك ى):«حَكَيْتُ عَنْهُ الكلاَمَ حِكَايَةً، وحَكَوْتُ لغة حَكَاهَا وحَكَيْتُ فِعْلَهُ وحَاكَيْتُهُ، والمُحَاكَاةُ: المُشَابَهَة ويُقَال فُلاَنٌ يَحْكِي الشَّمْسَ حُسْنًا ويُحَاكِيهَا»[2].

أمّا المعجم الوسيط فيقول:«حكى الشيء_ حكاية: أتَى بمثله، شَابَهَه. يقال: هي الشَّمسَ حُسْنا، عنه الحديث: نقَلَهُ، فهو حَاكٍ(ج) حُكَاةٌ. حَاكَاه: شابَهَه في القَوْل أو الفعل أو غيرهما. الحكاية: ما يُحْكَى ويُقَصُّ، وَقَعَ أو تُخُيِّلَ» [3].

نستشف من خلال هذه التعاريف أن الحكاية تعني المحاكاة والتقليد والمشابهة في القول والفعل ووصف الوقائع الحقيقية أو الخيالية.

ب. اصطلاحا:

يعرّفها عبد الحميد يونس بأنّها جنس أدبي جديد«لا بالقياس الى الأدب العربي وحده ولكن بالقياس إلى الآداب العالمية أيضاً، ذلك لأنّ وصف السّرد القصصيّ بالشعبيّ إنّما كان استجابة للإحساس بالحاجة إلى ضرب من التمييز بين إطار قصصي أدبي وآخر يتسم بالحرية والمرونة ومسايرة العقول والأمزجة والمواقف»[4].

وتعرّف نبيلة إبراهيم الحكاية الشعبية نقلا عن المعاجم الألمانية«بأنّها الخبر الذّي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية عن جيل لآخر، أو هي خلق حر للخيال ينسجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخية»[5]، أمّا المعاجم الإنجليزية فتعرّفها«بأنّها حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصور، وتتداول شفاها، كما أنّها قد تختص بالحوادث التاريخية الصرف أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ»[6].

ويعرّفها أحمد زياد محبك بأنّها«أحدوثة يسردها الرّاوي في جماعة من المتلقين، وهو يحفظها مشافهة عن رواية أخرى، ولكنّه يُؤديها بلغته، غير متقيد بألفاظ الحكاية، وإن كان يتقيد بشخصياتها وحوادثها ومجمل بنائها العام»[7].

ويعرّفها فوزي العنتيل«الحكاية النثرية المأثورة التّي انتقلت من جيل إلى جيل، سواء كانت مدونة، كأن تظل القصة تروى بواسطة مؤلف نقلا عن مؤلف آخر، أو اعتمدت على الكلمة المنطوقة تنتقل من شخص إلى آخر»[8].

كما يعرفها الباحث هادي نعمان الهيتي بأنّها:«نوع قصصي ليس له مؤلف، لأنّه حاصل ضرب عدد كبير من ألوان السرد القصصي الشفهي، الذّي يضفي عليه الرّواة أو يحورون منه، وهو يعبّر عن جوانب من شخصية الجماعية، وهي ترتبط بأفكار وأزمنة وموضوعات وتجارب إنسانية ذات علاقة بحياة الإنسان»[9].

من خلال هذه التعاريف، يمكننا القول أن الحكاية الشعبية من أهم وأقدم الموضوعات التي ابتكرها الخيال الشعبي عبر تاريخه الطويل، لكي يُعبّر بها عن عواطفه وأفكاره، آماله وأمانيه، عاداته ومعتقداته، أفراحه وأحزانه، وما مرّ به من الأحداث التاريخية المختلفة، وهي تعتمد في تداولها بين النّاس على الشفاهية المبنية على الاستماع والحفظ والاستعادة، وكلّ الرّاوي يؤديها بلغته الخاصة من غير التقيد بألفاظها، فيعدّلها ويضيف إليها بعض التفاصيل أو يحذف منها كما يشاء، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة غراء حسين مهنا في قولها أن:«الأدب الشفهي بصفة عامة، والحكاية الشعبية بصفة خاصة ما هي إلاّ عمل إنساني عام شعبي غير فردي، عمل يشعُر به الجميع ويفهمه الجميع، فهو إنتاج تلقائي لشعب ما، عَمَل مجهول المؤلف، فهو إنتاج لشخص أو اثنين، ولكن سرعان ما تتناوله الجماعة لتعدله

وتملكه، وتضيف إليه أو تحذف منه، فهي تنتقل من راو إلى آخر، فيضيف الأول بعض التفاصيل ويحذف الآخر البعض أو يدمجها مع تفاصيل أخرى»[10].

ولا يقتصر دور الحكاية الشعبية على الترفيه والتسلية«بل أن الشعب أو الجماعات الشعبية التيّ أبدعتها أرادت أن تنقل خلالها ما تُريد لأن تقوله إمّا بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، ولتصور فيها خيالها، وليعرض من خلال السرد ووقائع الحياة والشخصيات كما تتخليها لا كما هي بالفعل، أو كما ينبغي أن تكون، ويضيف الفنان الشعبي في الحكايات الشعبية نماذج عن التقاليد والعادات وأسلوب الحياة والأحداث الخاصة بفترات قد لا يُسجّلها التاريخ ولكن سجّلتها الحكاية الشعبية كتاريخ ثقافي من خلال المأثورات الشعبية لذلك كانت الحكايات الشعبية من أهم وأقدم الموضوعات وتمثل هي والأغنية مجال النشاط الأدبي»[11].

2. نشأة الحكاية الشعبية:

من الصعب تحديد تاريخ ميلاد الحكاية الشعبية أو في أي عصر قيلت لأننا«نعثر على بذور الحكايات في كل بقاع الأرض عند الشعوب الحضارات القديمة، وعند البدائيين في عصرنا الحاضر، وهناك شعوب كانت لها موهبة خاصة في خلق الحكاية الخرافية، كالهنود والعرب والكلتيين إذ صاغوها في أكمل صورة فنية، وغذوها بخيالهم وكسوها بالبهاء والرّوعة، ويمكننا من خلال تلك الحكايات أن نستخلص كثيرا من خصائص هذه الشعوب وطبائعها وأفكارها وتأملاتها، ولا يعني هذا بالطبع أنّ موطن الحكايات هو هذه الشعوب وإن كان هناك من يرى أن الموطن الأصلي للحكايات الخرافية هو الهند على اعتبار أنّها كانت في الأصل حكايات بوذية تروى لأهداف تعليمية، وما لبثت أن انتشرت إلى أروبا بواسطة العرب عن طريق البيزنطيين، أو عن طريق المغول وشعوب شرق آسيا، ومهما يكن من أمر، سواء تُهْنا وراء الحكايات نَتغيا أصولها في عتمة الدّهر أم أحجمنا عن ذلك، فإنّ خريطة الحكي الشعبي هي خريطة الأرض كلّها، إن لم الحكاية سفيرا أو تاجرا سافرت مع

المغامري، أو حتى مع القراصنة وقطاع الطرق، أمّا تاريخها فربّما يرتبط بتاريخ الحروف منذ ولدت على لسان وشفاه الإنسان، وهو يفرح ويسعد ويخاف ويفزع، وينبهر من نفسه ومن الآخر، حتى النّهر والجبل والفيل والنملة...والهلوسة والطيف العابر لذهنه»[12].

ويوافقه الباحث هادي نعمان الهيتي على ذلك بقوله:« وظهرت الحكايات الشعبية المروية قبل عصر التاريخ بآماد بعيدة، وظلت الشعوب تتناقلها جيلا عن جيل، وبذا احتلت موقع الصدارة بين الفنون التّي تذوقها الإنسان، وعبّر فيها عن عواطفه وأفكاره وخيالاته وننظراته، لذا فهي تفصح – إلى حد ما– عن مضمون العاطفة والفكر والخيال والرؤيا، وليس بالوسع تصور شعب لا حكايات شعبية له»[13].

3. خصائص الحكاية الشعبية: وتتميز الحكاية الشعبية بمجموعة من المميزات المهمة ومنها:

أ. تتصف الحكاية الشعبية بالقدم والعراقة، ويُزكي هذا الرأي عبد الحميد يونس في قوله:«الحكاية الشعبية عريقة أي أنّها ليست من ابتكار لحظة معروفة أو موقف معروف»[14].

ب. يتم إيصالها شفويا، حيث تنتقل من شخص إلى آخر عبر أجيال مختلفة.

جـ. مجهولة المؤلف فهي من إبداع المخيلة الجماعية«لا لأنّ الجماعة اصطلحت على أن تنكر على المؤلف الفرد أن ينسب إلى نفسه ما يُبدعه، بل لأنّ القصة الشعبية تصبح أثرا فنيا يوافق ذوق الجماعة، ولا تتخذ شكله النهائي قبل أن تصل إلى الجمهور فيتبناها، ويغير فيها ويكمّل شكلها الأخير خلال الرواية والتداول، ولا تلتزم وسيلة نقلها بالمشافهة حدودا

جامدة، بل تسمح بأن يضاف إليها، ويحذف منها، ويعاد ترتيبها أو حتى صياغتها من جديد»[15].

د. تتصف الحكاية الشعبية بالمرونة وعدم الثبات في الشكل، فكل شخص يضيف ويعدّل في عباراتها ومضامينها بحسب مزاجه نفسي.

هـ. تتصف الحكاية الشعبية بالصدق فبطلها شخصية حقيقية وجد في زمن ومكان معلومين.

4. **عناصر الحكاية الشعبية:** تتكون الحكاية الشعبية من العناصر التالية:

أ. **الموضوع(الفكرة الأساسية):** تهدف الحكاية الشعبية إلى تقديم دروس وعبر ليستفيد منها الفرد في حياته اليومية.

ب. **الحدث:** وهو مجموعة من الوقائع والأفعال المرتبة بشكل منطقي داخل الحكاية، تنمو هذه االأحداث وتتشابك فيما بينها فتظهر العقدة التّي تمثّل ذروة الصراع والتأزم لتُنتج حلا يوصل إلى النهاية، ويجب أن تكون العقدة في االقصة الشعبية« ممكنة للتصديق بالنسبة لشخصياتها غير العادية وأحداثها»[16].

جـ. **الشخصيات:** تقدّم لنا الحكاية الشعبية أنواعا عديدة من الشخصيات إنّها تمثل«مجموعة من الصفات الاجتماعية والخلقية والمزاجية والعقلية والجسمية التي يتميز بها الشخص، والتّي تبدو بصورة واضحة متميزة في علاقته مع النّاس»[17]، فقد ترمز للخير أو الشر، وللقوة أو الضعف، وللذكاء أو الحمق.

د. **البيئة الزمانية والمكانية:** تعتبر البيئة الوسط الطبيعي الذّي تسير ضمنه الأحداث، وتتحرك في مجاله الشخصيات«فحركة الأحداث في الحكاية الشعبية تكون مسرعة، والبطل ينتقل من مكان إلى آخر بكلمات قليلة، فقد يذهب إلى آخر الدنيا ويدور حولها بحثا عن

مطلبه، والوقت يمضي سريعا»[18]، فقد يتمكن البطل من فرز الحبوب المختلفة في أكياس مختلفة في بضع ثوان، كما يمكن للأمير المسحور أن يسترد هيئته الأصلية بعد مرور مائة عام بعد أن يزول عليه السحر، فالمكان والزمان في الحكاية الشعبية ليسا محددين، إذ تبدأ الحكاية لشعبية بمقدمة ثابتة عموما مثل: كان يا مكان في قديم الزمان، أو تتحدث في قصر جميل، في البلاد البعيدة...إلخ

5. وظائف الحكاية الشعبية: من أهم وظائف التي تؤديها الحكاية الشعبية هي:

أ. الإمتاع والتسلية.

ب. التأكيد على القيم الأخلاقية والاجتماعية.

ج. تثبيت القيم الثقافية والدينية.

د. تحبيب الفضيلة ونبذ الرذيلة.

6. أنواع الحكاية الشعبية: تستوعب حكاية الشعبية أنواعا وأنماطا مختلفة، فقد صنفتها الباحثة نبيلة إبراهيم إلى سبعة أقسام هي:

. حكايات الواقع الأخلاقي.

. حكايات الواقع الاجتماعي.

. حكايات الواقع السياسي.

. حكايات تكشف عن موقف الإنسان الشعبي من العالم الغيبي.

. حكايات المعتقدات.

. الحكايات الهزلية.

وصنّفتها الباحثة روزلين ليلى قريش في كتابها القصّة الشعبية ذات الأصل العربي، حسب حجم القصة، فكرتها الرئيسية وشخصياتها«إلى قصص طويلة وقصص قصيرة، تشمل الأولى ما أسمته بقصص البطولة والخرافات، وتستقي موضوعاتها من الأساطير والدّين وعالم الحيوان والجنّ، بينما تستقي الثانية

موضـوعاتها مـن الأخـلاق والنّكـت المشـهورة،وتكون غايتهـا إمّـا الموعظـة أو الفكاهـة، وإليهـا تنتسـب القصـص المقتبسـة عـن ألـف ليلـة وليلـة وكليلـة ودمنـة، قسّـمت بعـد ذلـك قصـص البطولـة إلـى: 1) قصـص بطولـة دينيـة، 2) قصـص بطولـة وعظيـة، 3) قصـص بطولـة بدويـة، 4) قصـص بطولـة حديثـة، ثـمّ قسّـمت الخرافـات الشّـعبيّة إلـى:1) خرافـة دينيـة، 2) خرافـة حـول شخصـيات واقعيـة غيـر دينيّـة، 3) خرافـة حـول الجـنّ، 4) خرافـة محليّـة، أمّـا القصـص القصـيرة فقـد قسـمتها إلـى: 1) فصـص التسلية، 2) قصص تخفيف عن المكبوتات، 3) قصص ذات مغزى»[19].

وصنّفها عبد الحميد بورايو إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي:

. قصص البطولة.

. الحكايات الخرافية.

.الحكايات الشعبية.

وكلّ نوع من هذه الأنواع الثلاثة تنقسم بدورها إلى أنواع فرعية كما يُبيّنه الجدول التالي:

الأنواع الرئيسية	قصص البطولة	الحكايات الخرافية	الحكايات الشعبية
الأنواع الفرعية	. قصص البطولة البدويّة. . قصص المغازي. . قصص الأولياء. . قصص الزّهاد. . قصص الخارجين عن القانون. . قصص الثّوار.	.الحكاية الخرافية الخالصة. . حكايات الأغوال الغبية.	.حكايات الواقع الاجتماعي. . الحكايات المحليّة. . حكايات الحيوان. . النّوادر.

ويصنّفها الباحث **خالد عيقون** في دراسته للحكاية الشعبية في منطقة البويرة حسب الشكل إلى الأنواع التالية:

. حكايات الأنبياء.

. حكايات الأولياء .

. حكايات المغازي.

. الحكايات الخرافية.

. حكايات الحيوان.

. الحكايات الواقعية.

. الحكايات الهزلية.

. حكايات الألغاز.

نستنتج من خلال ما سبق، أنّ سبب اختلاف الباحثين في تنميط الحكاية الشعبية راجع لعدم اعتمادهم على منهج واحد من أجل تصنيف هذا الجنس الأدبي.

نخلص منّ كل هذا إلى القول بأنّ الحكاية الشعبية أحد أنواع الفنون القولية التي عرفها المجتمع الإنساني منذ نشأته الأولى على سطح الأرض، عبّر بواسطتها الباث الشعبي عمّا يجيش في صدره من أفكار وأحاسيس وخيالات، كما أشار فيها إلى الحياة الذهنية والروحية والاجتماعية والسياسية التي عاشها مجتمعه.

. المصادر والمراجع:

1. إبراهيم نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط.3، دار غريب، القاهرة، 1981.

2. **ابن منظور، لسان العرب، المجلد 6،ط.1**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2008.

3. أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج.1،ط.2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1972.

4. **الرازي أبو بكر، مختار الصحاح، دار** الكتب العالمية، لبنان، 1999.

5. العنتيل **فوزي**، عالم الحكايات االشعبية، مكتبة الدراسات الشعبية، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1999.

6. **محمك** أحمد زياد، من التراث الشعبي، دراسة تحليلية لحكاية الشعبية، لبنان، ط.1، 2005.

7. الهيتي هادي نعمان، ثقافة الطفل، سلسلة عالم المعرفة، ع.123، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.
8. يونس عبد الحميد، الحكاية الشعبية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دت.